المخطوطات

مقتل سعيد بن جبير
فصل من مخطوطة كتاب المحن لأبي العرب التميمي

يحي الجبوري

• دكتوراه في الأدب العربي، عمل في التدريس في جامعة بغداد، ويعمل حالياً أستاذاً في كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر، كما يرأس تحرير حولية كلية الانسانيات.

المؤلـــف :

مؤلف الكتاب أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي، من أسرة عربية عريقة بالقيروان، كان جده تمام بن تميم التميمي من أمراء افريقية كان أميرا على تونس لمحمد بن مقاتل العكي، وكان العكي قد ولي أفريقية سنة ١٨١هـ ولاه هارون الرشيد، ولم يكن محمود السيرة فاضطرب أمره واختلف عليه جنده، ومن قبيح سيرته أنه ضرب البهلول بن راشد العابد الورع بالسياط ظلما وحبسه فكان ذلك سبب موته، وقد اقتطع أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفي الرعية فثار عليه الناس وخرج عليه تمام بن تميم التميمي جد أبي العرب سنة ١٨٣هـ.

زحف تمام في جماعة من القواد والأجناد من أهل الشام وخراسان من تونس متوجها إلى القيروان، فخرج إليه العكي فتقاتلا فانهزم العكي ورجع إلى القيروان فتحصن في داره، وأقبل تمام فنزل بعسكره خلف باب أبي الربيع فلما أصبح فتحت له الأبواب فدخل القيروان في أواخر رمضان سنة ١٨٣هـ، ثم أمّن العكي على دمه وأهله وماله وأخرجه من القيروان متوجها إلى طرابلس، ثم ولي تمام أمر أفريقية وكان ثائرا متغلبا من غير عهد من الخليفة هارون الرشيد. ثم نهض إليه إبراهيم بن الأغلب من الزاب وكان أميرا عليه، فلما علم تمام بمسير إبراهيم سار إلى تونس فدخل ابن الأغلب القيروان وأعاد العكي إليها رغم كره الناس له، وأقبل تمام من تونس بعسكر عظيم والتقى بابراهيم ومن معه فتقاتلوا قتالا شديدا فانهزم تمام ورجع إلى تونس، ثم طلب تمام الأمان فأمنه ابراهيم وأقبل به إلى القيروان ثم سيره إلى بغداد فمات في السجن(١).

أما والد أبي العرب أحمد بن تميم فقد حرص على طلب العلم فحضر دروس العلماء وسمع من شجرة وسليمان بن عمران و بكر بن حماد(٢).

أما أبو العرب فقد كان منذ صغره محبا للعلم شغوفا به على الرغم من رغبة أسرته في تنشئته نشأة الامراء والسلاطين، فكان أبو العرب عازفا عن الترف كارها لحياة العِلّية منذ الصغر، وفي الرواية التي ساقها ابن الدباغ على لسان أبي العرب بيان لمدى تعلقه بالعلم واقباله على الدرس وحرصه على ملازمة العلماء قال(٣):

«أتيت يوما وأنا حدث إلى دار محمد بن يحيى بن السلام فرأيت عنده الطلبة ورأيت أمرا أعجبني وركبت إليه نفسي، فعاودت الموضع وكنت آتي إليه والطرطور على رأسي ونعلي أحمر في رجلي في زى أبناء السلاطين، وكان الطلبة ينقبضون مني من أجل ذلك الزى، فقال لي رجل يوما بجواري لا تتزيّ بهذا الزى فليس هو زى طلبة العلم وأهله وزهدني، فرجعت إلى أمي فقلت: نلبس الرداء وثيابا تشاكل لباس أهل العلم والتجار، فأبت عليّ وقالت: إنما تكون مثل آبائك وأعمامك، فاحتلت حتى اشتريت ثيابا وجعلتها عند صباغ في باب أبي الربيع، فكنت إذا أتيت من القصر القديم أتيت بذلك الزى الذى تحب أمي ووالدي، فاذا وصلت إلى باب أبي الربيع ودخلت حانوت الصباغ خعلتها ولبست الثياب الأخر، فكنت كلما ترددت فعلت ذلك. ثم قال لي رجل من أصحابي: أراك تأتي هذا المجلس فتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئا مما تسمع يكون عندك، ما هذا حقيقة طالب العلم، فقلت له: والدى راغب عن هذا وعن المعونة عليه وما مكنني من شيء أشتري به الرق، فقال لي: أنا أعطيك جلدا تكتب لنفسك وتكتب لي جلدا عوضا منه، فرضيت له بذلك، فكنت أكتب لنفسي ما شئت وأكتب له في جلوده ما يحب حتى يسر الله عز وجل ما اشتريت به الرق وما قويت به على طلب العلم».

أخذ أبو العرب العلم عن جلة من علماء عصره ومن جماعة من أصحاب سحنون وأكثر رجال افريقية مثل يحيى بن عمر وأبي داود العطار وعيسى بن مسكين ومحمد بن مسكين وعبد الله بن أحمد بن طالب القاضي وعبد الجبار بن خالد السرى وابن عياش وسهل الفرياني وحماس بن مروان وحبيب بن نصر وجبلة بن حمود الصدفي وأحمد بن أبي سليمان وسعيد بن اسحاق وسليمان بن سالم وسعيد بن محمد بن الحداد وأحمد بن معتب وحمديس القطان وغيرهم كثير، فقد بلغت عدة شيوخه مائة وخمسة وعشرين شيخا(٤). وأخذ عن أبي العرب جمهرة من التلاميذ منهم: أبو محمد ابن أبي زيد وأبو الحسن بن زياد والحسن بن سعيد الخراط والحسن بن مسعود وابناه وزياد السروى ومحمد بن حسن الزويلي ومحمد بن الحارث الخشني، وإبنا أبي العرب أبو العباس تمام وأبو جعفر تميم، وغيرهم كثير وصفهم ابن الدباغ بقوله: (وأمم لا يحصون)(٥).

كان أبو العرب من جلة علماء عصره، ذكر القاضي عياض في الفقهاء المالكية فقال: كان حافظا لمذهب مالك مفتيا عالما غلب عليه علم الحديث والرجال(٦) وقد أثنى العلماء والمؤلفون عليه وأشادوا بعلمه وفضله وتواضعه وايثاره وتآليفه فقالوا:(٧) «كان فقيها صالحا متواضعا كثير الايثار من عسر، ثقة ثبتا، صحيح



التقييد ضابط الرواية كثير التآليف والمشايخ»، وقالوا: «كان أبو العرب إمام عصره وواحد دهره، دأب في طلب العلم و برع فيه براعة فاق فيه من تقدمه من رجال افريقية، وهو رافع لواء التاريخ بافريقية مع تقدمه في علم الأثر و بصره بالفقه ومعاني الحديث»(٨)، وكان لشدة اقباله على العلم أن نسخ بخط يده ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب.

شهد أبو العرب الاضطرابات السياسية التي نشأت بسبب قيام الدولة الشيعية في افريقية، والتعصب المذهبي الذي ساد بحيث أدى إلى قتل العلماء وترويعهم وحينما ثار أبو يزيد صاحب الحمار على العبيديين ناصره علماء القيروان ومنهم أن حققوا بعض التقدم تعرضت صفوفهم إلى التفرق على أثر تخلي أبي يزيد عنهم. وكان لأبي العرب في هذه الآونة مكانة كبيرة ومنزلة مكينة توضحها الرواية التالية التي ساقها ابن الدباغ:(٩) «قال أبو

الحسن بن سعيد الخراط الفقيه: لما بلغني أن الفقهاء قد تجمعوا في الجامع في تدبير الخروج إلى المهدية في أيام أبي يز يد، بكرت إلى الجامع فأصبت أبا العرب ابن تميم وأبا الفضل المحسبى القطان وأبا اسحاق السبائى ومروان بن نصر وغيرهم جلوسا عند المنبر، فتكلموا في الخروج على بني عبيد، فاختلفوا وتعاظروا، حتى قال أبو العرب بن تميم: اسكتوا، فسكت الناس، فقال: حدثنى عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله الجرجانى باسناده إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فاذا ادركتموهم فاقتلوهم فانهم كفار)، فلما أتم الحديث كبّر الناس وعلت اصواتهم في الجامع حتى ارتج حتى خرجوا لقتال بنى عبيد. وهذا يدلك على كمال عدالته وصحة نقله، ولولا ذلك ما اتفقوا بعد الاختلاف على الخروج على من



ذكر ولم يتخلف من الفقهاء والصلحاء أحد». ولما خرج أبو العرب لقتال العبيديين سمع الناس منه كتابى الامامة لمحمد بن سحنون، فكان يقول «والله لسماع هذين الكتابين عليّ هنا أفضل من كل ما كتبت» قال ابن الدباغ: «ير يد لكثرة من سمعه من الخلق الذين اجتمعوا إليه في سماع ذلك من علماء وغيرهم»(١٠).

وكان أبو العرب قد حبس وقيد مع ابنه وامتحن بسبب بنى الأغلب(١١). وكذلك قيل أن أبا العرب شاعر ونقلت عنه بعض الأبيات والقطع التى هي مجرد نظم مما يعرف بشعر العلماء، فن ذلك قوله: (١٢).

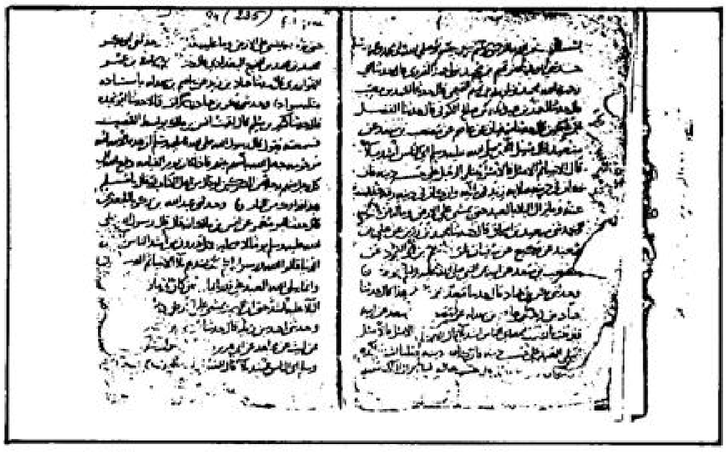
ضعفت حيلتى وقل اصطبارى ... والى الله اشكو كل ما بى
وهن العظمُ بعد ما كان صُلْبا ... وفقدتُ الشبابَ أى شباب

وقوله: (١٣)

إذا انقطع الصديقُ بغير عذرٍ ... فزادَ اللهُ خلته انقطاعا
الى يوم التنادِ بلا رجوعٍ ... وان رامَ الرجوعَ فلا استطاعا
إذا ولىّ أخوك فولِّ عنه ... وزدْهُ وراءَ ما ولاّكَ باعا
ونادِ وراءهُ يا ربِّ تمِّمْ ... ولا تجعلْ لِفُرقتهِ اجتماعا

وألف أبو العرب كتبا كثيرة مفيدة وكان موفقا في تآليفه فن كتبه:(١٤)

١ ـــ كتاب طبقات علماء افر يقية(١٥)
٢ ـــ كتاب عباد افر يقية.
٣ ـــ كتاب سند حديث مالك.
٤ ـــ كتاب التار يخ (في سبعة عشر جزءا)(١٦)
٥ ـــ كتاب مناقب تميم.



٦ ـــ كتاب موت العلماء (في جزئين)
٧ ـــ كتاب المحن (١٧)
٨ ـــ كتاب فضائل مالك.
٩ ـــ كتاب فضائل سحنون(١٨)
١٠ ـــ كتاب الطهارة والوضوء(١٩)
١١ ـــ كتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر(٢٠)
١٢ ـــ كتاب في الصلاة.
١٣ ـــ كتاب عوالى حديثة(٢١)
١٤ ـــ كتاب ثقات المحدثين وضعافهم

وكانت وفاة أبى العرب في ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٣هـ (٢٢) ودفن بباب سلم عند قبر شقران بالقيروان، صلى عليه اسحاق بن أبى الوليد صاحب الصلاة والخطبة في جمع عظيم، وقيل إن قبره مزار(٢٣).

كتاب المحن ومنهج المؤلف :

يتناول الكتاب موضوع المحن كما جاءت في الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، ثم يعرض لما نزل بالصحابة والزهاد والفقهاء والعباد والقادة والولاة والمحدثين والقراء من محن، مثل الترويع والسجن والتعذيب والتغريب والقتل والصلب والقطع وغير ذلك. و يتناول مقاتل الخلفاء: عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب بالتفصيل، و يتبع التسلسل التاريخي في ذكر من نزلت بهم المحن منذ عهد الصحابة حتى زمن المتوكل العباسي، و يتناول بالتفصيل محنة القول بخلق القرآن وما نزل بالامام أحمد بن حنبل والفقهاء الذين لم يقولوا بخلق القرآن من بلاء وشدة وضرب وحبس وتعذيب وقتل، و يضيف الكتاب إلى المعلومات التاريخية والتراجم تفصيلا تخلُّ به المصادر، وقد يجيء بمعلومات جديدة ينفرد بها.

يحدد المؤلف منهجه في أول الكتاب بعد أن يذكر الأحاديث النبوية التي وردت في ذكر المحنة والبلاء والعذاب والفتن، ثم يذكر بمناسبة احاديث المحن والقتل، الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان، ثم يعود إليها ثانية بالتفصيل بعد ذكر مقتل عمر بن الخطاب، قلت يحدد المؤلف منهجه بعد المقدمة العامة في المحن فيقول (الورقة ٥ ب):

«وأنا ذاكر بعد هذا من ابتلي بأن قتل أو حبس أو ضرب أو تهدد في صدر هذه الأمة وخيارهم، أبدأ في ذلك بمن قتل من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصرنا هذا، بالرواية عن أهل العلم الذين سمعت منهم، و بالله أستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل». و بعد ذلك يذكر مقتل عمر بن الخطاب، حتى إذا بلغ الجزء الثالث من الكتاب (الورقة ٧٥ ب) يعود فيبين طبيعة الموضوعات التي تتناولها الفصول التي تليه، فيقول: «ذكر سبب قتل عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله، ومن قتل من الصحابة والتابعين، وذكر من امتحن ومن ضرب ومن حبس من علماء الناس وأشرافهم وخيارهم، تأليف أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي».

والقاعدة العامة لدى المؤلف، أن يذكر الروايات مسندة وموثقة على وجه التفصيل، وقد ينبه إذا أراد الاختصار إلى ذلك، ففيّ ذكر مقتل عبد الله بن الزبير (الورقة ٦٥ ب)، ينص على أنه يذكر ذلك «على الاختصار منا لذلك وترك التطويل».

وقد يلجأ المؤلف أحيانا إلى ذكر ملخص للحالات التي مرت في الفصول السابقة فيذكر في الورقة (١٧٥ ب) من ضرب من أئمة الدين وخيار الأمة من أهل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، ويمضي في تعداد من ضرب من أهل المدينة ممن ذكر خبرهم مفصلا قبل فيقول: «ضرب سعيد بن المسيب القرشي على البيعة في أيام عبد الله بن الزبير، مرة على البيعة وأخرى في أيام عبد الملك بن مروان إذا أراد أن يبايع لابنه الوليد، وقد ذكرنا قصته كلها «ثم يذكر محن بقية الفقهاء الذين ضربوا وسبب ضربهم متنقلا من أهل المدينة إلى أهل الكوفة إلى أهل البصرة إلى أهل الشام ثم اليمن وغيرها من البلدان، وقد يذكر من سبق ذكره أو من لم يسبق ذكره في الكتاب.

و يعتمد المؤلف على الرواية و يعنى عناية كبيرة بالسند، وقد يذكر الخبر من طريقين أو أكثر و يوضح التباين بين رواية وأخرى إذا كان بينهما زيادة أو اختلاف أو فروق، وقد يروى الخبر الوارد من أسانيد عدة فيوحد بين الروايات، يقول في ذكر من قتل من الصحابة والتابعين ووجوه الناس يوم الحرة، بعد أن يذكر الأسانيد ومن حدثه بخبر هذا اليوم بما يزيد عن أربعة عشر راويا، يقول (الورقة ٥١ ب): «فكل قد حدثني بهذا الحديث مطابقة و بعضهم أوعى له من بعض، وغير هؤلاء الذين سميت كل قد حدثني أيضا وزاد بعضهم على بعض فكتبت كل ما حدثوني».

ولم يكن اعتماد المؤلف على الرواية فقط، بل كان يرجع إلى الكتب و ينقل منها، وكان أمينا في الاشارة إلى تلك الكتب التي يرجع إليها، أو إذا كان محدثة استقى من الكتب يذكر ذلك و يبين نسبة الكتاب إلى صاحبه يقول (في الورقة ٥٨ ب) في تسمية من قتل بالحرة من قريش والأنصار وغيرهم: «قال أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم : قرأت على أبي عثمان أحمد بن عثمان المتوكل العماني عن بكر بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر الوقدي، قال : قرأت كتاب إبراهيم بن اسماعيل بن حبيبة تسمية من قتل بالحرة، وأخبرني إبراهيم أن الكتاب كتاب داود بن الحصين مولى آل عثمان بن عفان».

وفي خبر ضرب علي بن عبد الله بن عباس ينقل المؤلف من كتاب و يذكر الرواية وما فيها من سند (الورقة ١١٥ أ): «قال أبو العرب: قرأت في كتاب، قال حدثنا سليمان بن عاصم قال: حدثنا يزيد بن أبي داود قال: أخذ علي بن عبد الله بن عباس فضرب..». وفي خبر محمد بن الحنفية يرجع المؤلف إلى كتاب

فيقول (الورقة ١٢٩ ب): «قال محمد بن أحمد بن تميم: قرأت في بعض الكتب ان عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر من بني هاشم...». وهكذا يتضح منهج المؤلف من خلال كتابه وانه منهج يقوم على تحرى الرواية وصحة الاسناد والأمانة في ذكر الأخبار والرجوع إلى الكتب واسناد كل خبر إلى قائله.

ذكر قتل سعيد بن جبير رحمه الله

قال أبو العرب: حدثني محمد بن عبيد الأسلمي الأندلسي قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن أحمد بن حنبل قال: حدثني عبد الرازق عن معمر قال: سمعت الزهرى(٢٤) يقول: حج عمر بن عبد العزيز وأنا معه، فجاءني سعيد بن جبير ليلا وهو في خوفه، فدخل منزلى فقال: هل تخاف على صاحبك، فقلت: لا بل آمن. حدثني مالك بن عيسى قال: حدثنا علي بن الحسن المعروف بأبي كعب قال: حدثنا حسين بن حسين قال: حدثنا أبو عبد الله الطنافسي عن الفضل «٧٩ ب» بن المعلى قال: حدثني اسماعيل بن واسط قال: دعاني خالد بن عبد الله القسرى(٢٥) وهو يومئذ أمير على مكة(٢٦)، فقال: يا ابن واسط، انطلق بهذا الرجل إلى الحجاج بن يوسف، فإن عبد الملك بن مروان بعث إليّ أن أبعث به إليه، قال: خرج إليّ سعيد بن جبير، وهو أحسن الناس وجها، وأفصحهم لسانا، له وفرة طى شحمة أذنيه، لم أر في مثل هيئته أحدا من أهل زماننا. قال: فأخذته ووثقته في الحديد، قال: وانطلقت به حتى نزلت ماء لبنى أسد، فقال: يا ابن واسط، بهذا الماء جماعة من قومى فان رأيت أن تطلق عنى هذا الحديد فعلت، فأخذته فأطلقت عنه حديده فانطلق فقال: لك الله عليَّ أن ارجع إليك. فانطلق، فجعلت أدعو الله أقول: اللهم لا يرجع إليّ، ويحك يا نفس، تذهبين بخير الناس إلى شر الناس، فوالله ما لبث إلا قليلا حتى عاد، فتركته مطلقا من حديده، حتى دنونا قريبا من واسط، فلما نظر إلى الخضراء قال: يا ابن واسط، ما هذه الخضراء، قال قلت: قبة الحجاج، فاسترجع فقال: ماأظن الموت إلا أن أتى، قلت: أو يدفع الله. قال: فأدخلته على الحجاج وقد أوثقته قبل ذلك بالحديد، فلما نظر إليه الحجاج استوى جالسا، وكان متكئا وقال: ايها عدو الله، خرجت علينا مع عبد الرحمن «٨٠ أ» بن الأشعث، قال سعيد: ما فعلت، ولكن أتيت بيت الله الحرام الذى من دخله كان آمنا فأخذت وأنا متعلق بأستار الكعبة، قال الحجاج ما اسمك، قال: اسمى سعيد بن جبير، قال، الشقى بن كسير، قال سعيد: أمى أعلم باسمى قال الحجاج: شقيت وشقيت أمك. قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك، قال الحجاج: لأوردنك حياض الموت، قال سعيد: أصابت أمى اسمى حقا، قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى، قال سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك الها، لا إله إلا الله، قال الحجاج: ياسعيد، ما علمك بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال: نبى ختم الله به الرسل، وصدق به الوحى، إمام الهدى ونبى الرحمة صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته، قال الحجاج: ياسعيد، ما قولك في الخلفاء، قال سعيد: إنما استحفظت أمر بنيّ وخيرهم أرضاهم لخالقه، قال الحجاج: ياسعيد، أى رجل أنا، قال سعيد: ياحجاج يوم القيامة تخبر أى رجل أنت إذا وقفت بين يديه تبارك وتعالى، ثم سئلت عن عملك، قال الحجاج: فأى رجل أنت، قال سعيد: فأنا أهون على الله من أن أطلع على غيبه، قال الحجاج: ياسعيد، مالك لم تضحك قط، قال: وكيف يضحك رجل مخلوق من طين، والطين تأكله النار ولايدرى إلى ما يصير «٨٠ ب» إلى جنة أو إلى نار، فإن كان مصيره إلى الجنة فقد فاز، وإن كان مصيره إلى النار فقد خسر خسرانا مبينا، ثم هو يوم القيامة يحاسب، قال الحجاج: يا سعيد، أما رأيت لهوا قط، قال سعيد: ما أعلمه. فدعا الحجاج بالعود والناى فضرب بين يديه بهما، فلما سمع بالناى بكى بكاء شديدا ثم قال: يا حجاج، والله لاشبع بطنى أبدا ما بقيت، ولا أزال هكذا لما رأيت في مجلسك هذا، أما هذه النافخة فذكرتني قول الله عز وجل: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض»(٢٧)، «وكل أتوه داخرين»(٢٨)، وأما هذه الأوتار (ف) قطعت من نفس، ثم هي يوم القيامة تبعث معك، وأما هذه الخشبة فنبات أرض قطعت من غير الحق، ذكرتني يا حجاج بكاء طويلا، قال الحجاج: ياسعيد، ما قولك في على بن أبى طالب، أفي الجنة هو أم فى النار، قال سعيد: لو أدخلت الجنة وفيها أهلها، والنار وفيها أهلها، لعلمت ياحجاج، فما سؤالك عن علم الغيب ياحجاج وقد حجب عنك، وقد امتحن الله قلبه بالايمان.(٢٩) قال الحجاج: الويل لك منى يا سعيد، قال سعيد: الويل لمن أبعد عن الجنة وأدخل النار، قال الحجاج: إنى قاتلك، قال سعيد: إذا أخاصمك، قال الحجاج: أخصمك، قال سعيد: هيهات يا حجاج القضاء يومئذ إلى غيرك، قد فرغ الله من(٣٠) وكتب أجلى «٨١ أ» ومنقطع أثرى، قال: فأمر به للقتل، فقال

سعيد: استودعك هذه الشهادة ياحجاج فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك لـه وان محمـدا عبده ورسوله، واستودعك هذه الشهادة حتى ألقاك فأخاصمك بين يدى الله، فأمر به الحجاج إلى القتل، فجعل يضحك، قالوا: أصلح الله الأمير قد ضحك، قال: ردوه، مـا أضحكك يـا سعيد، قال: يـا حجاج ضحكت من العجب، قال: وما ذلك العجب قال: عجبت من تجرئك على الله وحلمه عنك، فإن تكن عافية فمن الله وإياه أسأل تمام العافية، وأما أنت يا حجاج فلا براءة لك ولا عذر، لو طالت حياتى لكان مصيرى يوما إلى الفناء، فاذكر يا حجاج يوم الأبد والدهر الفانى الذى لا ينجو منه أحد سالما. قال: فأمر به ليقتل، قال سعيد: «إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين»(٣١). قال الحجاج: حولوا وجهه عن القبلة، قال سعيد: «فأينما تولوا فثم وجه الله، إن الله واسع عليم»(٣٢)، قال الحجاج: يا غلام، قم إليه فاضرب به الأرض ضربة ثم أعل صدره لتذبحه، فلما وضع السيف على حلقه قال سعيد: بسم الله و بالله وعلى ملة الله وملة رسوله.

قال: و بلغنى عن أبى الربيع الزهرى قال: حدثنا خلف بن خليفة قال: أخبرنى بواب الحجاج قال: رأيت رأس سعيد بن جبير «٨١ ب» بعد ما وقع إلى الأرض يقول: لا إله إلا الله. قال: وأخبرنى عيسى بن مسكين قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله البغدادى بالاسكندرية قال: حدثنا أحمد بن الحسن البصرى بانطاكية(٣٣) سنة خمس وتسعين ومائة، قال: حدثنا بشر بن إبراهيم أبو عمرو قال: حدثنا محمد بن ذكوان وغيره ممن لا أتهم، أن الحجاج بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول بمكة، فلما سار به الرسول ثلاثة أيام رآه الرسول يصوم النهار و يقوم الليل، فقال له الرسول: والله إنى لأعلم أنى إنما أذهب بك إلى القتل، فاذهب أى الطريق شئت، فقال سعيد: إنه سيبلغ الحجاج أنه أخذتنى، فان خليت عنى خفت أن يقتلك، ولكن إذهب إليه، فلما دخل عليه قال له الحجاج: ما اسمك، قال: سعيد بن جبير، قال: كذبت، أنت شقى بن كسير، قال: أمى سمتنى، قال: شقيت وشقيت أمك، قال: الغيب يعلمه غيرك، قال: أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى، قال: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلها غيرك، قال: ما تقول في المصطفي رسول الله(٣٤)، قال: خير الباقين وخير الماضين، قال: ما تقول في أبى بكر، قال: ثانى اثنين إذ هما في الغار، أعز الله به الدين وجمع به بعد الفرقة، قال: ما تقول في عمر، قال: الفاروق وخيرة الله في خلقه، قال: ما تقول في عثمان، قال: المجهز جيش العسرة المشترى بيتا في الجنة، قال: ما تقول في علي، قال: من أولهم اسلاما وأقدمهم «٨٢ أ» هجرة وأعظمهم فضلا(٣٥)، زوّج منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب بناته إليه، قال: ما تقول في معاوية، قال: كاتب رسول الله، قال: ما تقول في عبد الملك، قال: إن يكن محسنا فأتم الله احسانه، وإن يكن مسيئا فلن يعجز الله، قال: ما تقول في الخلفاء منذ كان النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، قال: سيجزون بأعمالهم فسرور ومثبور لست عليهم بوكيل، قال: ماتقول فيّ، قال: أنت ونفسك أعلم، قال: بث فيّ علمك، قال: إذا أسوؤك ولا أسرك، قال: فبث، قال: قد ظهر منك جور في حكم الله وجرأة على معاصى الله، قال: ذمهم أو أمدحهم، قال: إنما استحفظت أمر نفسي، قال: فأى رجل أنا، قال: يوم القيامة تخبر، قال: فأيهم أحب اليك، قال: أرضاهم لخالقه، قال: وأيهم أرضاهم لخالقه، قال: اتبعهم لأمره وأعلمهم بطاعته، قال: والله لأقطعنك أعضاء، قال: إذا تفسد على دنياي وأفسد عليك آخرتك والقصاص أمامك، قال: كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين من الأموال، قال: لم أرمنها شيئا، قال: فأمر بالأموال فنثرت بين يديه، قال: إن حملتها حتى تشترى لصاحبك الأمان يوم القيامة فهذا صالح، ،الا فقد أوقرت ظهرك واشتد حسابه، قال: كيف تراه، قال: لا ينفع إلا طيب، قال: أو ليس هو بطيب، قال: برأيك جمعته، قال: أتحب أنه «٨٢ ب» لك، قال: لا أحب إلا ما يحسب الله، قال: الويل لك، قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، قال: كيف ترى ما نعد من هذه المعازف والمزامير والطبول، فضربت بين يديه، فأقبل سعيد يبكى، وقال: تالله ما رأيت رجلا أشد خلافا منك، ضربت بين يديك المعازف والطبول فأقبلت تبكى، قال: يا حجاج، وكيف لا نبكى من شيء له نظائر من أهوال يوم القيامة، منها نفخة الصعقة، قال: اذهبوا به فاقتلوه، قال: إنى أشهدك يا حجاج أنى أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله واستحفظكها حتى ألقاك بها يوم القيامة، فلما ذهبوا به تبسم سعيد بن جبير، فقال: ردوه، فلما ردوه قال: مم ضحكت، قال: تعجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك، قال: اسحبوه. فلما سحبوه قال: «اني وَجَّهْتُ وجْهى للذي فَطَر السَّمواتِ والأرضَ حَنيفاً وما أنا من المُشركينَ»(٣٦). قال: اصرفوا وجهه عن القبلة، قال: «فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله

واسع عليم»(٣٧)، قال: كبوه لوجهه عدو الله، ما أنزعه لأى القرآن، فقال: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى»(٣٨). فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال: اللهم قاصم الجبابرة اقصم الحجاج. فما بقى بعد ذلك أياما حتى وقع في جوفه الدود وأصابه الكزاز(٣٩).

وأخبرنى أحمد بن مغيث عن أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن على الكوفي قال: قتل سعيد بن جبير «٨٣ أ» (وهو)(٤٠) ابن تسع وخمسين سنة، قال أبو الحسن: وسعيد بن جبير كوفى تابعى ثقة، مولى لبنى أسد، وروى عن ابن عباس وابن عمر، وعن أنس بن مالك، قال: وكان سعيد بن جبير يصلى في رمضان ليلة يقرأ فيها قراءة زيد، وليلة يقرأ فيها بقراءة أبى بن كعب.

قال: وأخبرنى عبد الله بن الوليد قال: حدثنى اسماعيل بن نافع عن حبيب عن غزوان البجلى قال: حدثنا أبو مقاتل السمرقندى عن عون: أن الحجاج بن يوسف لما ذكر عنده سعيد بن جبير أرسل إليه قائدا(٤١) من أجل أهل الشام، من خاصة أصحابه يسمى المتلمس بن الأحوص الثقفى معه عشرون(٤٢) رجلا من ثقات أصحابه فأتوا السدة، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعة، فأتوه فسألوه عنه، فقال الراهب: صفوه لى، فوصفوه فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه في الموضع الذى وصف لهم الراهب ساجدا يبكي بأعلى صوته، فدنوا منه، فسلموا عليه، فرفع رأسه، فأتم صلاته ثم رد عليهم السلام، فقالوا: إنّا رسل الحجاج إليك فأجبه، قال: ولابد من الاجابة، قالوا: لابد، فحمد الله كثيرا وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قام فمشى معهم حتى انتهى إلى دير راهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان، أصبتم صاحبكم، قالوا: نعم، ياراهب أطال الله بقاءك، فقال لهم الراهب: اصعدوا الدير، فان اللبوة «٨٣ ب» والأسد باديان حول الدير(٤٣)، فأبى سعيد من دخول الدير، قالوا: ما نراك ياسعيد إلا تريد الهرب منا، فقال: لا، ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا، قالوا: فانا لا ندعك، فان السباع تقتلك، قال سعيد: لا ضير عليكم، إن معى ربى سيصرفها عنى ويجعلها حرسا حولى يحرسونى من كل سوء، قالوا: من الأنبياء أنت؟، قال: لا، ولكنى عبد من عبيد الله خاطىء مذنب، قال الراهب: فليعط(٤٤) ما أثق به، قال سعيد، إنى أعظّم على الله العظيم الذى لا شريك له لا أبرح من مكانى حتى أصبح إن شاء الله، فرضى بذلك الراهب وقال لهم: اصعدوا وأوتروا القسى لتمنعوا السباع من هذا العبد الصالح، فانه كره الدخول علي لمكانكم، فلما دخلوا الدير وأوتروا القسى، إذا هم بلبوة قد أقبلت حتى دنت من سعيد بن جبير، فتحاكت به وتمسحت وربضت قريبا منه، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك وربض قريبا منه، فلما رأى الراهب ذلك نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وعن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففسر ذلك له، فأسلم وحسن اسلامه، وأقبل القوم على سعيد بن جبير يعتذرون إليه و يقبلون يديه ورجليه، و يأخذون من التراب الذى وطئه من الأرض وصلى عليه، و يقولون: يا سعيد قد حلفنا بالطلاق والعتاق إن نحن عايناك لا ندخل إلى الحجاج إلا بشخصك، فمرنا بما شئت، فقال لهم: امضوا لأمركم فإنه لابد من «٨٤ أ» أمر الخالق ولا راد لقضائه. قال: فساروا به حتى بلغوا واسط(٤٥)، فقال سعيد: يا معشر الأخوة، قد تحرمت بكم وصحبتكم، ولست أشك في أن أجلى قد حضر، وأن مدتى قد انقضت، فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت، واستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر، وما يحثى عليّ من تراب، فاذا أصبحتم فالميعاد بينى و بينكم الموضع الذى تريدون، فقال بعضهم: بل لا نريد أثرا بعد عين، وقال بعضهم: يعطيكم ما أعطي الراهب، ويحكم أما لكم عبرة بالأسْد كيف تحاكتْ به، وكيف حرسته إلى الصباح، وقال بعضهم: هو عليّ أنا أدفعه إليكم إن شاء الله، فلما نظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه وشعث رأسه واغبر لونه لم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه، قالوا بجماعتهم: يا خير أهل الأرض ليت أنّا لم نتبعك ولم نسرح إليك، الويل لنا و يلا طويلا، كيف ابتلينا بك، فاعذرنا عند خالقك عند الحشر الأكبر فإنه القاضى الأكبر والعدل الذي لا يجوز. قال سعيد: ما اعذرنى لكم وأرضانى بما سبق من علم الله، فلما فرغوا من البكاء والمحادثة والكلام فيما بينهم قالوا: بالله يا سعيد ألا زودتنا من كلامك فانا لا نلقى مثلك أبدا، ففعل ذلك سعيد، فخلوا سبيله. فغسل مدرعته(٤٦) وكساءه، وحنط نفسه، فلما اشتد عمود الصبح جاءهم سعيد فقرع عليهم الباب، فقالوا: صاحبنا ورب الكعبه «٨٤ ب» فنزلوا فبكوا معه طويلا، ثم قام المتلمس الثقفي وآخر معه حتى دخلا على الحجاج فقال: أتيتمانى بسعيد بن جبير، قالا نعم، وعاينا منه العجب، فأصرف وجهه عنهما وقال: ادخلاه عليَّ، فخرج المتلمس فقال: استودعك الله يا سعيد واقرأ عليك السلام، قال: فدخلوا به على الحجاج فقال: ما اسمك أيها الرجل، قال: سعيد بن جبير، فقال: بل أنت شقى بن كسير، قال: لأُبَدِّلَنَّك نارا

تلظى، قال: لو علمت أن ذلك اليك لاتخذتك إلها، قال: فما قولك في محمد، قال: نبى الرحمه وامام الهدى، قال: ما تقول في علي بن أبى طالب أفي الجنة هو أم في النار، قال: لو أدخلت الجنة فرأيت أهلها عرفت من فيها، قال: ما تقول في الخلفاء، قال: لست عليهم بوكيل، قال: فأيهم أعجب إليك(٤٧) قال: أرضاهم للخالق، قال: فأيهم أرضى للخالق، قال: ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم، قال: أبيت أن تصدقنى، قال: بل لم أحب أن أكذب، قال: هل رأيت يا سعيد ما جمعت لأمير المؤمنين، قال: لا، قال: فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فنثر بين يدى سعيد، فقال سعيد، إن كنت جمعت هذا ليفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء مما جمعت للدنيا إلا ما زكا وطاب. ثم أمر بالعود والناى، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناى بكى سعيد، فقال: ما يبكيك هو اللهو، قال: بل هو الحزن، أما النفخة فقد ذكرتنى بيوم عظيم «٨٥ أ» «يوم ينفخ في الصور» إلى آخر الآية، وأما العود، فشجرة قطعت بغير حق، وأما الأوتار فأمعاء شاة تبعث بها يوم القيامة، قال الحجاج: الويل لك ياسعيد، قال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، قال الحجاج: أتريد أن أعفو عنك، قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة ولا عذر، قال: اقتلوه، قال سعيد: «وجَّهتُ وجهى للذي فطرَ السمواتِ والأرضَ حنيفا وما أنا من المشتركين»(٤٨) قال: اكبوه لوجهه، قال سعيد: «فأينما تولوا فثَمَّ وجهُ اللهِ»(٤٩)، قال: اكبوه لوجهه، قال سعيد: «منها خلقناكم وفيها نُعيدكم ومنها نُخرجكم تارةً أخرى»(٥٠)، قال: فأمر بنطع فبسط وقال: اذبحوه، قال سعيد: إنى أشهدك يا حجاج أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فخذها منى تلقانى بها يوم القيامة، قال: فذبح على النطع. ودعا سعيد بن جبير من قبل أن يذبح فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى فلم يقتل بعده أحدا. وبلغنى أنه عاش ست عشرة(٥١) ليلة ووقعت الأكلة في بطنه (فدعا بطبيب)(٥٢) لينظر إليه، فلما نظر إليه دعا بلحم متين فعلق في خيط أسود فسرّحه في حلقه، ثم تركه ساعة، ثم استخرجه وقد لزق به الدود، فعلم أنه ليس بناج.

وبلغنا أنه كان ينادى في بقية حياته: مالي ولسعيد بن جبير، كلما أردت النوم أخذ برجلى «٨٥ ب». وبلغه أنه كان دعا عليه بالزمهرير، قال: فكانوا يجعلون حوله الكوانين قد ملئت جمرا(٥٣) مع ما كان قد دثروه. فما زال في عذابه ذلك، فأرسل في طلب الحسن(٥٤)، فأتاه، فاعتذر إليه وشكا ما نزل به، فقال له الحسن: قد نهيتك مرة بعد أخرى لا تتعرض للصالحين، ولا تكن منهم إلا بسبيل خير، فأبيت ولججت ليقضى الله أمرا كان مفعولا، فقد انتهى بك الكتاب أجله، ثم مات.

قال عبد الله بن الوليد: وحدثنى عبد الله بن محمد عن المقدام بن داود عن أبى صالح قال: قال الحجاج لسعيد بن جبير: لأعذبنك عذابا شديدا، فقال له سعيد: والله لقد عبدت الله عبادة حتى لأنت في عينى أصغر من الذباب، ولقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أوذى نبى ولا صديق في الله إلا أذهب الله عنه ألما يجده)(٥٥). وأخبرنى عبد الله بن الوليد قال: حدثنى إبراهيم بن محمد عن ابن قتيبة قال: كان سعيد بن جبير مولى لبنى والبة من بنى أسد، يكنى أبا عبد الله، وكان أسود(٥٦)، وكان كاتبا لعبد الله بن عتبة، ثم كتب لأبى بردة(٥٧) وهو على القضاء وبيت المال، وخرج مع عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس، فلما انهزم ابن الأشعث من دير الجماجم هرب سعيد إلى مكة، فأخذه خالد بن عبد الله القسرى(٥٨) وكان والى عبد الملك على مكة، فبعث به إلى الحجاج «٨٦ أ». قال: فحدثنى أبو الخطاب قال: حدثنا أبو داود عن عمارة بن زادان قال: حدثنا أبو الصهباء قال: قال الحجاج لسعيد بن جبير: اختر أى قتلة شئت، قال: بل أنت فاختر لنفسك، فان القصاص أمامك، وقال له(٥٨): ألم أقدم الكوفة وبها العرب فجعلتك اماما، قال: بلى، قال: ألم أولك(٦٠) القضاء فضج الناس وقالوا: لا يصلح القضاء إلا لعربى، فاستقضيت أبا بردة وأمرته أن لا يقطع أمرا دونك، قال: بلى، قال: أو ما جعلتك في سمّارى، قال: بلى، قال: أو ما أعطيتك من المال كذا وكذا تفرقه في ذوى الحاجة لم أسألك عن شيء منه، قال: بلى، قال: فما أخرجك، قال: بيعة كانت لابن الأشعث في عنقى، قال: فغضب الحجاج وقال: بيعة أمير المؤمنين عبد الملك قبل في عنقك، والله لأقتلنك. قال وقتله الحجاج وهو ابن سبع وأربعين سنة..(٦١) قال سعيد للقتّال: سألتك بالله لا تقتلنى حتى أتكلم بكلمتين، فقال له: تكلم بما شئت، فقال سعيد: اللهم ماعادانى إلا فيك، ولا أبغضنى إلا من أجلك، اللهم لاتحل له دمى ولا تمهله بعدى، فقدم فذبح. فما قتل حتى ضرب الحجاج الزمهرير في بطنه، فصاحوا خلوا سبيل الرجل، فخرج الناس فأصابوه قتيلا، فأخبروا الحجاج فنادى: دثرونى، فما انتفع بشيء، قال: ما أرى الدثار

ينفعني شيئا، عليّ بالنار، فأتوه«٨٦ ب» بالكوانين فجعلوا النار حوله من كل ناحية حتي احترقت ثيابه وهو في ذلك يصيح من شدة البرد، فتجرد وأقبل يصطلى حتى تفطر جسده ولم ينفعه شيئا، فلما عظم البلاء عليه قال: ائتونى بالحسن، فأتوه به فصاح الحجاج: يا أبا سعيد أدركنى، مالى ولسعيد، فقال له الحسن: ما لسعيد ومالك ياحجاج لو تركت سعيدا لتركك الله، أما نهيتك ياحجاج أن لا تتعرض لأحد من أولياء الله، فلما نظر الحسن إلى ما نزل به من العذاب وضع يده على أم رأسه ثم صاح بأعلى صوته، ثم أقبل يبكى على نفسه، فقال له الحجاج: يا أبا سعيد أرسلت إليك أستغنيت بك وأنت تبكى على نفسك، فقال الحسن: أما أنت يا حجاج فقد عجل لك ما صنعت، وأما أنا فلا أدرى ما يصنع بى في أمرى، أيؤخرنى فيمن يؤخر ثم يعجل بى. ثم خرج عنه الحسن مغموما مكروبا خائفا وجلا على نفسه على مايصير إليه وقد نزل به عظيم. فأقام الحجاج معذبا لايكاد يموت ولا يحيا خمس عشرة ليلة(٦٢)، وقال الحجاج: ردوا على الحسن، فردوه، قال: فدخلت عليه وقد تغير لونه وغارت عيناه من السهر وقد احترقت ثيابه وتشقق جلده من حر النار وحوله تسعة كوانين، وكل ذلك لا يفارق الزمهرير جوفه، قال: فكلمنى وقد ضعف و بح صوته فأنشأ(٦٣) وهو يقول: يا الهى إن الناس يقولون«٨٧ أ»: أنك لا ترحمنى فارحمنى، ثم قال: ياحسن، لا أسألك أن تسأله أن يفرج عنى، ولكنى أسألك أن تسأله أن يقبض روحى ولا يطول عذابى فيفعل بى ما يشأ، فبكى الحسن بكاء شديدا واستحيا من الله أن يسأله فيه، فأذن الله بقبض روحه فقبض، والحسن واقف، فقال الحسن لأهله: خذوا في جهازه.

وقعد الحسن على بابه ينتظر جنازته، وأبى العابدون أن يأتيه واحد منهم ولا يحضروا له جنازة، لما كان أنزل بهم، وما كان فعل بالعابدين، فأقام عنده الحسن ينتظر جنازته فلم يحضره من علماء العراق غيره، فلما مضوا بالجنازة مضى معهم الحسن وصلى عليه وأقام عند جنازته حتى واراه بالتراب، ثم انصرف، فأتى الناس إلى دار الحسن وقالوا: يا أبا سعيد، رجل رمى البيت وقتل ابن الزبير، وقتل ابن عمر، وقتل العابدين، وآخر من قتل رأس الزاهدين في الدنيا سعيد بن جبير، فكيف رضيت أن تحضر جنازته فيقول الملوك: لو لم يكن الذى فعله الحجاج ليس لله رضا ما حضر الحسن جنازته ولا صلى عليه، فقد أهلكت العابدين آخر الدهر وأحللتهم للملوك الأرض، فا حملك على ما صنعت، قال لهم

الحسن: إنى أدركت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة رجل، منهم سبعون بدر يا كلهم يأمرون أن نصلى على بار هذه الأمة وفاجرها، فان كان محسنا دعونا الله له بالز يادة«٨٧ ب» وإن كان مسيئا دعوت الله له بالمغفرة، هكذا أمروا ولست مجاوزا(٦٤) أمرهم، فانصرف الناس عنه، واستراح الناس من الحجاج بن يوسف، وكفى الله أمره، فكان فيا ابتلى به الحجاج أن كف الله الأذى عن علماء هذه الأمة وعبادها.

قال عبد الله : وحدثنى محمد بن سحنون أن الحجاج بن يوسف لما قبر كان على قبره حراس(٦٥). يحرسونه، فلما أن ذهب من الليل بعضه إذا هم بحركة في قبره وحس جر السلاسل وصلصلتها، وقائل يقول: أعذب وأنا أقرأ القرآن، ولما أن كانت الليلة الثانية سمعوا في قبره مثل ذلك الوقت الذى سمعوا الليلة الأولى، فلما أصبحوا ....(٦٦)
فقال: إذا كان في الليلة آتيكم حتى أسمع ما أسمعتم، قال: فأتاهم فاذا الحركة والحس كما ذكروا وكما سمعوا من قبل، فأقبل الظالم وهو يقول: ذاك ياعدو الله بتقصيرك وتفر يطك في طاعة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان(٦٧)، وكان صاحب الشرطة هذا من العتاة أيضا.

وقال أحمد بن محمد بن تميم: وقرأت في بعض الكتب بخط إبراهيم بن يزيد، وأنا أعرف خطه، أن الحجاج لما قتل سعيد بن جبير سال من دمه شيء كثير(٦٨) استنكره الحجاج وهاله لكثرته، فدعا البيادوق وكان متطببا، فقال: إنى أنكرت كثرة دمه، فم ذلك«٨٨ أ» قال: الصدق ينجينى، قال: نعم، قال: قتلته ونفسه مجتمعة غير هائب لما فعلت به، وغيره ممن قتلت قتلته وهو مفترق النفس هائب لك فيقل دمه لذلك.

وكان سفيان الثورى(٦٩) لايقدم أحدا على سعيد بن جبير في علمه، وكان معجبا به، وحدثنى إبراهيم بن عبد الجبار الدقاق قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال: حدثنا جر ير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أبى ربيعة قال: سمعت الحجاج بن يوسف يقول في خطبته: ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أم(٧٠) رسوله إليهم، ير يد بالخليفة عبد الملك بن مروان و بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وحدثنى عمر بن يوسف ومحمد بن أسامة قالا: حدثنا على بن عبد العز يز قال: حدثنا اسحاق الطالقانى قال: حدثنا جر ير عن مغيرة عن النز يع، شك على أن الحجاج قال في كلامه: ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في

حاجته. قال: قلت: لله علي أن لا أصلي خلفك أبدا، ولئن وجدت قوما يقاتلونك لأقاتلنك. قال: فقاتل يوم الجماجم حتى قتل، قال: وحدثني ابن أسامة وعمر بن علي بن عبد العزيز بأسانيد اختصرتها عن الشعبي قال: كان الحجاج بن يوسف مؤمنا بالطاغوت كافرا بالرحمن. وقال مجاهد(٧١) فيه: الشيخ الكافر«٨٨ ب».

وحدثني عمر بن يوسف ومحمد بن أبي سلمة عن علي بن عبد العزيز قال: حدثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقاني قال: حدثنا سفيان عن سالم بن أبي حفصة قال: شهدت الحجاج حين أتى بسعيد بن جبير فقال له: أنت الشقي بن كسير، قال: لا بل أنا سعيد بن جبير(٧٢)، قال: والله لأقتلنك، قال: إذا أنا كما سمتني أمي، إني أعوذ منك بما عاذت به مريم، قال: قالت: «إني أعوذُ بالرَّحمنِ منك إن كنتَ تقيًّا»(٧٣) قال: اضربوا عنقه، قال: دعني أصلي ركعتين، قال: ولوه قبلة النصارى، فقال سعيد: «فأينما تولوا فثَمَّ وجهُ الله»(٧٤). وحدثنا يحيى بن عبد العزيز عن بقي بن مخلد عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا شيخ لنا قال: أخبرنا الأعمش(٧٥) قال: قتل سعيد بن جبير وهو ابن ست وأربعين سنة، قال ابن أبي شيبة: قتل سعيد بن جبير سنة خمس وتسعين.

وحدثني عمر بن يوسف قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا زيد ابن الحباب قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثوبان قال: أخبرني عمير بن هانيء(٧٦) قال: أخبرني منقذ حاجب الحجاج، أن الحجاج لما قتل سعيد بن جبير مكث ثلاث ليال لا ينام، يقول: مالي ولسعيد بن جبير.

الهـــوامش

(١) البيان المغرب ٨٩/١ — ٩٢ ط بروفنسال.

(٢) معالم الايمان ٤٢/٣ والديباج المذهب ص ٢٥٠.

(٣) معالم الايمان ٤٥/٣.

(٤) معالم الايمان ٤٢/٣ والمدارك ٧٣/٢ والديباج المذهب ص ٢٥٠.

(٥) معالم الايمان ٤٢/٣ والديباج ص ٢٥٠.

(٦) تذكرة الحفاظ ـ الذهبي ٨٨٩/٣.

(٧) معالم الايمان ٤٢/٣

(٨) معالم الايمان ٤٣/٣ والديباج المذهب ص ٢٥٠.

(٩) معالم الايمان ٤٤/٣.

(١٠) معالم الايمان ٤٥/٣.

(١١) الديباج المذهب ص ٢٥٠ ـ ٢٥١

(١٢) المصدر السابق ص ٢٥١

(١٣) معالم الايمان ٤٣/٣ ـ ٤٤ والديباج المذهب ص ٢٥١.

(١٤) معالم الايمان ٤٣/٣.

(١٥) في تذكرة الحفاظ ٨٨٩/٣ : طبقات أهل أفريقية، وقد يرد باسم طبقات رجال افريقية. طبع الكتاب محمد بن أبي شنب سنة ١٩١٤ ثم أعاد طبعه علي الشابي ونعيم حسن اليافي سنة ١٩٦٨ في تونس.

(١٦) في المعالم : سبعة عشر جزءا وفي الديباج المذهب ص ٢٥٠ سبعة اجزاء وفي تذكرة الحفاظ ٨٨٩/٣ في أحد عشر مجلدا.

(١٧) ذكره ابن خير الأشبيلي ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٣٠١ قال: حدثني به أبو محمد ابن عتاب عن أبيه رحمها الله قال: قرأته على أبي القاسم خلف بن يحيى، قال حدثنا أبو جعفر تميم بن محمد بن تميم عن أبيه مؤلفه رحمه الله. وذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ٨٨٩/٣ وابن الدباغ في معالم الايمان ٤٣/٣ وابن فرحون في الديباج المذهب ص ٣٥٠ وغيرهم.

(١٨) في فهرسة ابن خير ص ٢٩٧: كتاب مناقب سحنون بن سعيد وسيرته وأدبه.

(١٩) في الديباج ص ٢٥٠: الوضوء والطهارة.

(٢٠) جعل محققا كتاب طبقات علماء افريقية وتونس ص ٢٨ هذا الكتاب كتابين:

١ ـ كتاب الجنائز ٢ ـ كتاب ذكر الموت وعذاب القبر. وهما كتاب واحد.

(٢١) عن الديباج المذهب، ولم يذكره ابن الدباغ في معالم الايمان.

(٢٢) معالم الايمان ٤٦/٣ وتذكرة الحفاظ ٨٨٩/٣، أما في الديباج المذهب ص ٢٥١: لثمان بقين من ذي الحجة، وقيل لسبع بقين من رجب سنة ٣٠٣هـ ولاشك أن هناك وهما أو خطأ طباعيا في سقوط رقم ثلاثين.

(٢٣) معالم الايمان ٤٦/٣.

(٢٤) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب من بني زهرة بن كلاب من قريش، أول من دون الحديث، من أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، سكن الشام، كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه، توفي سنة ١٢٤هـ. (تذكرة الحفاظ ١٠٢/١ تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ حلية الأولياء ٣٦٠/٣.

(٢٥) في الأصل : خالد بن واعظ المصري.

(٢٦) في الأصل : أمير على الكوفة، والصواب: أمير على مكة لأنه وليها سنة ٨٩هـ وكان الحجاج في الكوفة، وسيأتي صواب الرواية في الخبر نفسه.

(٢٧) سورة الزمر آية ٦٨.

(٢٨) النمل ٨٧.

(٢٩) يريد بذلك علي بن أبي طالب، ولذلك غضب الحجاج فتهدده.

(٣٠) بياض في الأصل قدر كلمة، ةلعلها: (أمري).

(٣١) الانعام ٧٩.

(٣٢) البقرة ١١٥.

(٣٣) انطاكية : مدينة بالشام بينها و بين حلب يوم وليلة.

(٣٤) رسول الله، بخرجة من الحاشية.

(٣٥) في الأصل : واعظمهم فضل.

(٣٦) سورة الأنعام ٧٩

(٣٧) سورة البقرة ١١٥.

(٣٨) طـــه ٥٥.

(٣٩) الكزاز : (بالضم) داء يأخذ من شدة البرد.

(٤٠) زيادة يقتضيها السياق.

(٤١) في الأصل : قائد، على الرفع والوجه النصب بدون تأويل.

(٤٢) في الأصل : عشرين، على النصب.

(٤٣) في الأصل : الديرة.

(٤٤) في الأصل : فليعطى، والوجه حذف الياء من لام الأم

(٤٥) واسط: مدينة بين الكوفة والبصرة بناها الحجاج، ويجوز في واسط الصرف وعدمه وعدم الصرف هنا اذا أردت المدينة على التأنيث. (انظر معجم البلدان: واسط)

(٤٦) المدرعة : قميص من الصوف، وقيل: جبة مشقوقة من المقدم.

(٤٧) أعجب اليك، كذا، ولعلها: أحب اليك كما في الرواية التي سبقت.

(٤٨) الأنعام ٧٩.

(٤٩) البقرة ١١٥.

(٥٠) سورة طـه ٥٥.

(٥١) في الأصل : ستوعشر ليلة.

(٥٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٥٣) في الأصل : جر، بالرفع، والوجه جرا بالنصب.

(٥٤) هو الحسن أبي الحسن البصري التابعي واعظ البصرة وزاهدها.

(٥٥) في الأصل : ألم، بالرفع والوجه النصب.

(٥٦) في الأصل: أسودا، والصواب بمنعه من الصرف.

(٥٧) أبو بردة : عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، قاضي الكوفة، كانت له مكارم ومآثر وأخبار، توفي سنة ١٠٣هـ. (وفيات الأعيان ٣٤٣/١).

(٥٨) خالد بن عبد الله القسري من بجيلة أمير العراقين وأحد الخطباء يماني الأصل من أهل دمشق، ولي مكة ٨٩ للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام البصرة والكوفة فطالت مدته إلى أن عزله هشام وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد، وكان خالد يرمى بالزندقة وللفرزدق هجاء فيه، قتل سنة ١٢٦هـ.

(الاغاني ٥٣/١٩ - ٦٤ تهذيب ابن عساكر ٦٧/٥ - ٨٠ الوفيات ١٦٩/١)

(٥٩) الرواية في الكامل ٩٦/٢ إلى قوله (في عنقك قبل) مع خلاف العبارة.

(٦٠) في الأصل : أوليك، والصواب ان تجزم.

(٦١) في الأصل بياض بقدر كلمة، لعلها (وقيل).

(٦٢) في الأصل: خمسة عشر ليلة، وهو لحن.

(٦٣) في الأصل : فانتشا، ولعل الصواب ما اثبتنا.

(٦٤) في الأصل : مجاوز، بالرفع.

(٦٥) في الأصل : حراسا بالنصب.

(٦٦) في الأصل : سطر كامل بياض. وهو من سياق ما سيأتي يتعلق باخبار الحراس صاحب الشرطة بما سمعوا من صوت وحركة في القبر.

(٦٧) كلمة : بن مروان، خرجة من الحاشية.

(٦٨) في الأصل : كثيرا، بالنصب.

(٦٩) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني عبد مناة، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا، له كتب في الحديث والفرائض، كانت وفاته سنة ١٦١هـ.

دول الاسلام ٨٤/١ ابن النديم ٢٢٥/١ ابن سعد ٢٥٧/٦ ابن خلكان ٢١٠/١)

(٧٠) (أكرم) ساقطة من الأصل، وتصويبها من النص الآتي بعده.

(٧١) مجاهد بن جبير مولى بني مخزوم، تابعي مفسر من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، تنقل في الأسفار في الكوفة، وكان لا يسمع بأعجوبة الا ذهب فنظر إليها، وذهب إلى (بئر برهوت) بحضرموت وذهب إلى بابل يبحث عن هاروت وماروت قيل انه مات وهو ساجد سنة ١٠٤هـ.

(طبقات الفقهاء ص ٤٥ ارشاد ٢٤٢/٦ صفة الصفوة ١١٧/٢ حلية الأولياء ٢٧٩/٣).

(٧٢) قوله : (فقال له : أنت الشقي بن كسير، قال: لا بل أنا سعيد بن جبير) خرجة من الحاشية.

(٧٣) سورة مريم ١٨.

(٧٤) البقرة ١١٥.

(٧٥) الأعمش : هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، تابعي مشهور أصله من بلاد الري ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالما بالقرآن والحديث ورأسا في العلم النافع والعمل الصالح توفي سنة ١٤٨هـ.

(ابن سعد ٢٣٨/٦ الوفيات ٢١٣/١ تاريخ بغداد ٣/٩)

(٧٦) عمير بن هانيء العنسي الداراني، تابعي من رجال الدولة الأموية من أصل داريا بالشام، استنابه الحجاج على الكوفة، ولما ولي الوليد بن يزيد اتهم عمير بالتحريض كان مع يزيد بن خالد القسري حين حاصر الشام، وقتل صبرا مع يزيد بن خالد على أبواب الشام وحمل رأسه على رمح إلى مروان بن محمد بحمص سنة ١٢٧هـ.

(تاريخ الاسلام ١١٩/٥ ابن الأثير ١٢٣/٥ تهذيب التهذيب ١٤٩/٨ - ١٥١)

ملاحظة : يصدر كتاب (المحن) عن دار الغرب الاسلامي - بيروت - ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.